# محاضرة الإيجاز

الإيجاز في البلاغة؛ هو التعبير عن المعاني الكثيرة والمتعددة باللفظ القليل الوافي بالغرض مع البيان والإفصاح، أيّ أن يؤدي المعنى الكثير بلفظ قليل يُوضح المراد ويُبينه، ومثال على ذلك، قوله تعالى: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ}.
سورة الأعراف، آية:199

ويقع الإيجاز على نوعين كالآتي:

إيجاز قصر وهو إيجاز يكون بتضمين العبارات القصيرة معاني من غير حذف، وذلك بتقليل الألفاظ وتكثير المعاني، ومثاله قول الله تعالى: {وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ}. سورة البقرة، آية:179

فالمراد متى يعَلم الإنسان أنّه إذا قتل شخصًا سيُحاسب على فعلته، ونتيجة لهذا الجزاء سيمتنع عن القتل، وفي ذلك حياته وحياة لغيره، فتطول الأعمار، وتكثر الذرية.

وقوله تعالى: {أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ}. سورة الأنعام، آية:82 فكلمة الأمن يدخل تحتها كل أمر محبب، فقد انتفى بها أن يخافوا فقرًا، أو موتًا، أو جورًا، أو زوال نعمة، أو غير ذلك.

وفي قوله تعالى: {أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا}. سورة النازعات، آية:31

في هذه الآية دلّ الله –سبحانه وتعالى– بكلمتين على جميع ما أخرجه من الأرض قوتًا ومتاعًا للناس من العشب والشجر والحطب واللباس والنار والماء.

إيجاز الحذف يكون بحذف شيء من العبارة لا يخل بالفهم، مع قرينة تدل على المحذوف، ولا يكون ذلك إلا إذا زاد المعنى على اللفظ،[٣] مثال عليه ما يأتي: قوله تعالى: {فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ}. سورة آل عمران، آية:106 فالإيجاز في هذه الآية حذف جواب أمّا، وأصل الكلام: فيُقال لهم أكفرتم بعد إيمانكم.

وقوله تعالى: {وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَل للهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا} سورة الرعد، آية:31 وقع الإيجاز في الآية بحذف جواب لو، وتقدير الكلام: لكان هذا القرآن.

ومن صوره في الشعر قولهم:

أتى الزمان بنوه في شبيبته :::فسرهم وأتيناه على الهرم

الإيجاز في هذا البيت بحذف الجملة، فالتقدير: وأتيناه على الهرم فساءنا.

ويقع الإيجاز لأسباب متعلقة بالكلام وأخرى متعلقة بالمتكلم وبالمخاطب ومنها:

الاختصار و تسهيل الحفظ وتقريب الفهم.

إخفاء الأمر على غير السامع.

تحصيل المعنى الكثير باللفظ اليسير. ضيق المقام.

وقد عرفت العرب بإيجازها في الكلام تعبيرا على قدرتها على اختصار الكلام الكثير وعلى نباهة المتلقي، وقد مال الناس للمختصر من الكلام كما في صنوف نثرية على غرار الحكم والأمثال، لاحتفائها بالإيحاء، ومِنْ صوره كذلك التوقيعات، وهي عبارات كان يُوقِّع بها الخلفاءُ والولاة والقضاة وغيرهم مِن أولي الأمر على مَا يُرفَع إليهم مِن أخبار الدولة أو ظلامات النَّاس، وهي لإحكام صيغتها وقوة دلالتها تكاد تجري مجرى الأمثال، كَمَا فِي توقيع جعفر بن يحيى إلى بَعْضِ عُمَّالهِ: "قد كَثُرَ شاكُوكَ وَقَلَّ شاكِرُوك، فَإِمَّا اعتدلت وإِمَّا اعْتَزَلْت"، وتوقيعه في أَمرِ سجينٍ: "العدل يوبقه، والتوبة تُطلقه"، وَكَمَا فِي توقيعِ هارون الرشيد عَن أحد البرامكة: "أَنْبَتَتْهُ الطاعةُ وحصدتْهُ المعصيَّة".

وَمِن صوره ايضا الأجوبة الحاسمة التي يُقصَد بِهَا إلى إفحامِ المتكلِّم أحيانًا أو إجابته بجوابٍ موجز ، ومثاله جواب عقيل بن أبي طالب حينَ دخل على معاوية وقد كُفَّ بَصَرُ عقيل، فقالَ له معاوية: "أنتم بنو هاشم تُصابون في أبصاركم"، فأجابَهُ: "وأنتم معشر بني أمية تُصابون في بصائركم!"، فأنْتَ ترى كيف جاء رَدُّ عقيل أشدَّ وخزًا مِن تعريضِ معاوية؛ لِمَا فيه مِنْ إيجاز، وَكَذلك جوابُ الأحنف بن قيس حينما تكلَّم النَّاس عندَ معاوية في يزيد ابنه إذ أخذَ لَهُ البيعةَ، وسكت الأحنف، فقالَ له معاوية: "مالك لا تقول يا أبا بحر؟!"، فقالَ: "أخافك إِنْ صدقت، وَأَخَافُ الله إِن كذبت"، فقد عَبَّرَ الأحنف بهذا الجواب الموجز البليغ عَن حرجِ موقفهِ وإيثارِهِ الصمتَ حَتَّى لَا يقول الباطلَ فيُغضِب الله أو الحق فيُغضِب معاوية، ووضحَ مَعَ ذَلِكَ رأيَه فِى بَيْعَةِ يزيدٍ .

عَلَى أَنَّ الإيجازَ يكون معيبًا فِي بَعْضِ الأحيان إِذَا بُولغ فيه، أَو جَاءَ مُخَالِفًا لطبيعَةِ الموضوعِ، فيحسُّ القارئ باقتضابِ العبارَةِ وَعجزها عَن بيان مَا تحتمله الفكرة مِنْ إفاضة،

وَمِنْ ذَلِكَ : لَا خَيْرَ فِي لذَّة تتعقب نَدمًا، لَنْ يَهْلِكَ مَن قصد وَلَنْ يفتقر مَن زهد، رُبَّ هَزْلٍ قَد عَاد جِدًّا، مَن أَمِن الزمان خَانَه، وَمَن تعظم عليه أهانه، دعوا المزاح فَإِنَّه يورثُ الضغائن، وخير القول مَا صدقه العقل، احتملوا من أَدلَّ عليكم، أَطِعْ أخاك وَإِن عصاكَ وصله وإِن جفاك، اعلم أَنَّ قطيعة الجاهل تعْدِلُ صِلةَ العاقل

فأنتَ ترى كيفَ امتلأ النَّصُّ بحكمٍ جميلة قيمة لَو جاءت فُرادى لَكَانَ لَهَا فِي النَّفْس أثرٌ بليغ؛ وَلكن القارئ يضيقُ بِهَا لكثرتها وتتابعها فِي ذلكَ الأسلوب الموجز فَلَا يَجِدُ مجالًا لتدبُّر مَا ينطوي تحتَ كُلٍّ مِنْها مِن خبرَةٍ صادقة بِالنَّاسِ وَالحياة.

فَمِنَ الإيجازِ إذًا، إيجازٌ بليغ وآخر مُخِل، والمقياس فِي ذَلِكَ هو مدى ملاءمة الإيجاز لطبيعة الموضوع ومقدار بيانه لفكرَةِ الأديب.